مسرحية

هناك

تأليف

عبدالرحمن المناعي

مارس 2015

المكان

صحراء جرداء في الخلف حاجز حديدي تجاوره غرفة خشبية *وإشارة حمراء* وكلها تظهر كخيال ظل خلف ستارة بيضاء .. في المقدمة جذع شجرة ميته صخور .. حقائب سفر.

الزمان

في وقتنا الحاضر.

شخوص المسرحية

رجل1

في الأربعين من عمره.

رجل2

في الخمسين طويل القامة.

المرأة

فتاة في العشرين من العمر.

رجل3 عابرون وحراس.

(مجموعة من البشر في الخلف يتزاحمون حول بوابة العبور .. همهمات وصراخ .. ضحكات تنبعث من الحاجز .. بكاء طفل وأمه تستجدي طعاماً لرضيعها .. رجل 1 يجلس على صخرة يقرأ كتاباً بينما رجل2 يسير بقلق)

المرأة طفلي جائع .. فقط بعض الحليب .. جف صدري .. لا أملك له شيئاً .. أرجوك قليلا من أي شيء .. من أجل الطفل ***(يستمر استجداؤها وهي تزاحم الآخرين بالقرب من الحاجز)***

رجل2 ***(يحادث رجل1 وهو يرقب المشهد في الخلف)*** مسكينة لا أحد يملك لها شيئاً .. طفلها جائع صراخه مزعج .. ماذا تقرأ ؟

رجل1 لا شيء فقط أقتلُ الوقت.

رجل2 هل لديك سجائر ؟ ***(لايرد عليه)*** أقول هل لديك سجائر ؟

رجل1 ماذا تقول ؟

رجل2 اسأل عن سجائر.

رجل1 هذا الأمرُ لم يَدُرْ ببالي .. كيف لي أن اعرفَ أن كلَّ هذا سيحدث.

رجل2 هل لديك ...

رجل1 ***(وكأنه لا يسمعه)*** قالوا إنهم يمنعون المرور لبعض الوقت ولكن ..

رجل2 انس الأمر .. كنت أحاول الإقلاع عن التدخين ربما تكون هذه فرصةً مواتية.

رجل1 الوقت يمر ولا شيءَ يوحي بالنهاية.

رجل2 والقراءةُ هي زادك على قتل الوقت ؟

رجل1 لولا بكاءُ ذاك الطفل الجائع.

رجل2 وهل صدقتَ ذلك ؟

رجل1 هو جائعٌ دون أدنى شك.

رجل2 لا .. لا .. أقصد هل صدّقت أنها ساعاتٌ فقط ؟

رجل1 الآن أو ربما بعد ساعة يفتحون البوابةَ ويتركوننا نمر .. ربما من أجل الطفل.

رجل2 حتى السجائر التي جلبتُها نفدت .. وأنت تتحدث عن الوقت.

رجل1 إنه جائع ..

رجل2 سينام .. أعطاها الحارس شيئاً ما ***(المرأة تعود للمقدمة بعدما أعطاها الحارس بعض البسكوت والماء تستلقي تحت الشجرة .. الزحام والضجيج مستمر في الخلف)***

رجل2 كيف تبدو لك هذه الصحراء ؟

رجل1 الصحارى متشابهة .. والأن أصبحت الحواجز متشابهه .. منبوذون .. مشبوهون .. مانكادُ نمر حتى نجد حاجزاً آخر .. وآخر وآخر.

رجل2 لم يتبق لدي سجائر ***(رجل1 لا يرد .. يعود للقرأة)*** ولا أحد هنا لديه أو ربما لديهم ولا يريدون إعطائي ... ماذا تقرأ ؟

رجل1 ***(يقلب الكتاب بين يديه)*** أحاول قتل الوقت .. كتاب عن جلجامش.

رجل2 من ؟

رجل1 جلجامش ملكٌ ومحاربٌ شجاع .. أتعرف الأساطيرَ والملاحم ؟ ***(رجل2 ينظر إليه ويهز راسَهُ.. بينما ينقطع بكاء الطفل ويزداد عدد الأفراد في الخلف)*** آه .. هي حكايةٌ من أساطير الأولين .. جلجامش ورفيقه انكيدو.

رجل2 وما جدوى ذلك يا صديقي.

رجل1 يبدو أنه نام ***(يشير للطفل)***

رجل2 وماذا يفعلُ صديقُكَ هذا ؟

رجل1 جلجامش .. إنها حكاية قديمة .. رجل يبحثُ عن الخلود أو سرِ الخلود ؟

رجل2 استغفرُ الله.

رجل1 ***(ينظر إلى المرأة)*** وامه استسلمت للنوم أيضا.

رجل2 انه كافرٌ بلا شك.

رجل1 جلجامش ***(يضحك)*** إنها أسطورة حدثت قبل كل الرسل والديانات.

رجل2 وهل لذاك الواقفِ خلفَ الحاجزِ دين ***(رجل1 يعاود القرأة)*** هل القراءةُ مثل التدخين ؟

رجل1 ماذا ؟

رجل2 أقصد هل يمكنكَ التوقفُ عن القراءةِ عندما تشاء.

رجل1 ربما لديهم سيجارة تخفف توترك ***(يشير للحاجز .. رجل2 ينظر للحاجز بتردد ثم يخطو تجاهه .. رجل1 يخاطب نفسه)*** صيف وصراخ طفل وأنين امرأة وانتظار .. ولاشيء يحدث ***(رجل2 يعود)*** لماذا عدت؟

رجل2 زحام شديد على البوابة .. ولا أحد يملك سجائر.

رجل1 ربما لدى حراس الحاجز.

رجل2 لا اعرف مدى أهمية السجائر في مثل هذا الموقف.

رجل1 لقد أعطوا المرأةَ زجاجةَ ماء صغيرة.

رجل2 لن أذهبَ لهم .. فقط لو نعلمُ متى سيُسمحُ لنا بالمرور من هذه البوابة اللعينة.

رجل1 كيف ستعرفُ وأنت هنا.

رجل2 لا .. لا .. لن أذهب.

رجل1 إذاً اجلس مكانَكَ واصمتْ.

رجل2 ***(يقترب من المرأة النائمة مع طفلها)*** لماذا هي ..

رجل1 إنها نائمة .. تعبة .. عليك أن تَكُفَّ عن الدورانِ وتهدأ.

رجل2 ربما أعطاها شيئاً آخر غيرَ الماء .. لا يصدر عنها أيُّ صوت.

رجل1 إنها نائمة .. ليتكَ تفعل.

رجل2 قالوا إننا سننتظر ولكن ليس لهذا الحد.

رجل1 ***(لا يرد ويواصل تصفح كتابه)***

رجل2 إلى متى ؟ هل هناك سببٌ لهذا التأخير أم إِن ذلك إمعانٌ في إذلاِلنا.

رجل1 البدو كَفُّوا عن الترحالِ منذ مجيءِ هولاء.

رجل2 يالك من رجل .. تقرأ أو تقول كلاماً غريباً.

رجل1 ***(رجل1 لا يرد ويواصل القرأة .. يزداد الزحام أمام البوابة .. تعلو الأصوات .. رجل2 يسير بتوتر شديد)***

رجل2 وماذا حدث له بعد ذلك

رجل1 ها ..

رجل2 اقصد صديقَك الذي تقرأ عنه.

رجل1 ***(بسخرية)*** اصبح صديقي ؟ .. قلتُ لك إنه يبحث عن الخلود.

رجل2 ونحن نبحث عن الخلاص.

رجل1 في بعض الأحيان أعتقد أنك ثرثار .. جاهل وفي بعض الأحيان ...

رجل2 لا تهتم نحن هنا متساويان .. وتلك البوابة الملعونة لا تزال هناك ***(يتفحص المرأة)*** هل هي نائمة حقا أم أعطوها شيئاً ما.

رجل1 لا إنها نائمة .. تعبة.

رجل2 قالوا إن هذا الحاجز كريهٌ ولكن هو الطريقُ الوحيد .. سوف اذهب اليهم.

رجل1 وماذا تنتظر .. اذهب.

رجل2 ها ... لا .. ربما بعد قليل.

رجل1 لماذا تسافر ؟

رجل2 أنا .. يقال إن هناكَ أموالاً كثيرةً وآمناً وسلاماً.

رجل1 أين ؟

رجل2 خلف الحاجز.

رجل1 تبحثُ عن فرصة ؟

رجل2 ربما .. من يدري ربما تكونُ الفرصة الأخيرة.

رجل1 ***(يتمتم)*** ما زلتُ أحسِب يا نقود ، أعدكنّ و أستزيد ،
ما زلتُ أنقصُ ، يا نقود ، بكنّ من مدد اغترابي
ما زلتُ أوقَد بالتماعتكن نافذتي و بابي[1]

رجل2 ماذا تقول ؟

رجل1 ***(وكأنه يفيق من حلم)*** هذا هو سببُ سفرك إذاً .. البحثُ عن الثراء.

رجل2 الحياة فرصٌ يا صاحبي.

رجل1 والوطن ؟

رجل2 ***(يجلس بعد تردد)*** كنتُ هناك .. كنا نقاتلُ مستعمراً بغيضاً يريد اغتصابَ وطنِنا.

رجل1 نعم .. تابعنا تلك الحربَ الطاحنةَ .. سنواتٍ طويلة .. حتى أننا حفظنا أسماء مدنكم وقراكم.

رجل2 وهل حفظتم أسماء موتانا ؟

رجل1 من سيُحصي ذلك؟

رجل2 ونحن تابعنا حرَبكم طويلا.

---

[1] من قصيدة غريب على الخليج للشاعر / بدر شاكر السياب.

رجل1 حربُنا .. حربُكم .. هل هي كذلك ؟

رجل2 كنا أخوةً نقاتلُ في جبهةٍ واحدة .. نأكلُ من طبقٍ واحدٍ وننامُ متجاورين نصلي في صفٍ واحدٍ .. لا أعرف ما حدث بعد ذلك .. هزمنا المستعمرَ وطردناه خارجَ أرضِنا .. ولكن حدث شيءٌ كريهٌ لا أدري .. اكتشفتُ أو اكتشف كل منا انه ينتمي لحزب آخرَ أو عقيدة أخرى .. حررنا الوطن .. ليصبحَ بعضُنا كافراً والبعض مقتولاً أو منسوفاً أو مفجراً والمحظوظ مهجرٌ يبحثُ عن وطنٍ بديل .. مطاردٌ من الكل ومحاصرٌ مابين بوابةٍ وأخرى.

رجل1 يا الله كأنكَ تحكي عني.

رجل2 وما الفرق.

رجل1 سألتُك لماذا تسافر ؟

رجل2 وهل تعرف أنت لماذا تسافر ؟

رجل1 الآن تأكدَ لي أنكَ غيرٌ ما أعتقد.

رجل2 وأنت يا صديقي تقرأ عن رجلٍ يبحثُ عن الخلود.

رجل1 انها مجرد حكاية.

رجل2 وهذا الانتظارُ الذي لا ينتهي .. أليسَ هو حكاية.

رجل1 سألتُك لماذا تسافر ؟

رجل2 ***(يصمت للحظات)*** قتلوا أخي.

رجل1 آه ... أمن أجل النقود .. أم هروب.

رجل2 قتلهُ رفيقي في حربِ تحريرِ الوطن .. قال إنه كافرٌ قتلهُ وهو خارجٌ من المسجد .. قال إنه كافر.

رجل1 هل تهرب ؟

رجل2 أهرب .. مِنِ منَ ؟ وإلى أين ؟ لا يا سيدي فقط أبحثُ عن مكانٍ أستطيع أن أنامَ فيه.

رجل1 هل تريد كتابا .. يُعينك على الانتظار.

رجل2 لم تعد الكتبُ معبداً للأحلام والخيالات الجميلة .. كل الأشياء أصبحت شبيهةً بذاك الحاجز .. عندما يصبحُ الرصاص هو اللغةُ السائدة فما قيمةُ القراءة.

رجل1 كلامُكَ جميلٌ وحارق.

رجل2 فقط لو نعرفُ موعدا لفتحِ هذه البوابة.

رجل1 ***(لا يرد .. يواصل القرأة)***

رجل2 ***(يقف يقترب من المرأة)*** ربما أعطاها شيئاً آخر غيرَ الماء .. لا تُصدر صوتاً ولا حركة.

رجل1 ***(لا يرد)***

رجل2 ***(يحاول تذكر أسم جلجامش)*** هل جل .. جلجـ ..

رجل1 ***(يرفع رأسه مبتسما)*** جلجامش.

رجل2 نعم .. نعم .. هل عرف شيئاً ؟

رجل1 في النهاية عرفَ أن الخلودَ فقط لخالقِ السمواتِ والأرض.

رجل2 لماذا تقرأُ عنه إنه رجل كافر.

رجل1 ها أنت تكررُ ما قاله قاتلُ أخيك.

رجل2 لا أعرف من الذي قَتلَ ومن الذي قُتل .. من هو ...

رجل1 فقط لو تنسى السجائر .. لو تهدأ قليلاً.

رجل2 إنه مجنون .. يفكر في الخلود.

رجل1 يا سيدي كافر أو مجنون إنها حكاية مجرد حكاية.

رجل2 ألم تدخن في حياتك ؟

رجل1 لا .. لم أعرف التدخين قط.

رجل2 سأذهب إليهم .. لابد أن يتركوننا نمر .. نحن في جحيم وهم يتمازحون ويضحكون.

رجل1 ويسكرون .. ولكن لديهم مفتاحُ البوابة .. ألن تذهب ؟

رجل2 سأنتظر قليلا .. ربما أعطوا الرضيعَ مما يشربون.

رجل1 يا أخي كُف عن الدوران .. وحديثِكَ المفلس .. فقط حاول أن تستلقي وتنسى.

رجل2 وهل هنا مكانٌ يصلحُ لذلك ؟

رجل1 ليكن في عقلك مكانٌ للهروب.

رجل2 الهروب .. تبا لهم ما الذي أتى بهم يزرعون أرض الله ببوابتهم اللعينة ***(يرتفع صوت حراس البوابة وضحكاتهم)*** اسمع إنهم لا يبالون حتى بمشاعرنا سأذهب لهم.

رجل1 ***(لايرد عليه.. بينما يعلو ضجيج وغناء الجموع في الخلف)***

رجل2 لابد أن نعرف متى سيسمح لنا بالمرور.

رجل1 جبان.

رجل2 لابد أن يحترموا مشاعرنا ***(ينتبه لما قاله رجل1)*** ماذا قلت ؟

رجل1 جبان .. طوال الوقت وأنت تردد الكلام نفسَه تكرره دون أن تفعل شيئاً .. فقط تتكلم .. ولا تجسر حتى على الاقتراب منهم.

(يجلس على الأرض بإنكسار .. صوت بكاء الطفل يتصاعد تصحو أمه تحمله وتقف تسير تجاه الرجلين)

المرأة ألم يسمحوا بالمرور بعد ؟

رجل1 ***(يحادث نفسه)*** لا وقت للقراءة .. لماذا لا تذهبون وتسألون عن ذلك.

رجل2 ألستَ مثلنَا ومعنا في هذا الانتظار ؟

رجل1 نعم مثلُكم في الانتظار ولستُ مثلكم في الولولة .. اسمع إذا أردتَ معرفةَ متى سيسمحُ لنا بالمرور اذهب لهم .. وكف عن الحديث.

رجل2 أنت غيرُ مبالٍ بما نحن فيه فقط تريد أن تقرأ .. لا يهمُكَ أمرُنا .. ربما تكونُ ..

رجل1 أكمل .. أكونُ ماذا ..

المرأة هل لدى أحدكم شيء للطفل .. أي شيء يؤكل.

رجل2 لا أكل ولا شرب .. فقط انتظار ***(رجل1 يبتعد عنهم)*** إلى أين تذهب ؟

رجل1 ***(بغضب)*** إلى أي مكان .. ماذا يعنيك في ذلك.

المرأة ماذا أفعل بهذا الطفل .. قالوا بعد قليل .. هل نمت طويلا ؟

رجل2 ماذا أعطوك .. ماذا شرب الطفلُ حتى ينامَ وهو جائع.

المرأة ماء وبسكوت ..

رجل2 فقط ؟

المرأة هل تملك شيئاً آخر .. إننا نموت انتظارا .. ليتهم فقط يخبروننا.

رجل2 وما الفائدة .. نهربُ من جحيمٍ حتى نسقطَ في آخر.

المرأة ***(تخاطب طفلها)*** عد لنومك .. لا حليب في هذه الصحراء .. صراخُكَ لن يُجدي هم لا يسمعونك .. حاول أن تنامَ .. لا أملكُ لك شيئاً.

(تحاول الغناء بصوت متحشرج .. يتوافد عدد آخر من العابرين .. تزداد كومة المنتظرين أمام بوابة العبور .. رجل1 يذرع المسرح

وهو يقرأ .. المرأة تستمر في غنائها وصراخ الطفل مستمر .. ضحكات حراس البوابة .. همهمات الجموع .. رجل2 يقترب من رجل1 ويسير خلفه)

رجل2 ***(ينادي)***ألا تمل .. ألا تشاركنا هذه المصيبة بدل البحلقة في كتابِكَ الملعون ألا تكفَ عن هذا العبث وتشاركنا ..

رجل1 ***(بغضب)*** في ماذا ؟ ها في ماذا ... هل تملك قرارك في هذه الصحراء؟

رجل2 ها ..

رجل1 هل تغلبتَ على خوفك وذهبتَ لتسألهم ؟

رجل2 أنا ...

رجل1 أنت جبان فارغ هارب .. دعني ودع تلك المرأة واصمت.

رجل2 أنت الجبان لم تبادر حتى للسؤال وأنتَ الهارب تهربُ إلى كِتابك السخيف وبطلك الوهمي الكافر .. إذا كررت كلامك فسوف أمزقُ كتابك هذا .. بل سأمزقُ لسانَكَ البغيض سأجعلُك تندمُ على كلامك.

رجل1 ***(بخوف)*** أنا جبان لا أعترض على ذلك ولم أقل إنني سأذهب إلى هناك .. وهذا الكتاب أحسن من الولولة والبكاء.

(ينصرف عنه يتوقف رجل 2 عن السير خلف رجل1 ويخاطب نفسه)

رجل2 لن نمر ولن نعود .. سوفَ نبقى هنا حتى نتحللَ ونصبحَ جزءاً من هذا الرمل لن يسمحوا لنا بالمرور .. ***(يخاطب الجالسين في الخلف)*** هل لدى أحدِكم سجائر ***(لا أحد يرد عليه)***

المرأة هل لدى أحدِكم حليبٌ لهذا الطفل أرجوكَ يا سيدي .. قليلا من الحليب.

(يتكرر طلب المرأة وبحث رجل2 عن سجائر)

رجل2 سوف تتحللون وتتحولون لحجارة .. لن يسمحوا لكم بالمرور.

رجل1 ألا تكف عن عبثك وتدع كلاً في شأنه ... يا أخي حاول أن تقرأ .. تنام تسترخي .. لن يجديك كلُ هذا ***(غناء ينبعث من الجموع في الخلف)*** اسمع إنه غناء هكذا الناس تتغلب على مرارة الانتظار.

(تزداد حدة الغناء ويعلو صوت المرأة ليختلط بصوت الغناء)

المرأة إنه يموت .. يموت .. طفلي يموت ولا أحد يبالي .. متى يتركوننا وشأننا لماذا لا يتركوننا نمر ... إنه يجف يتلاشى .. صدري جف حليبُه .. ألا يملك أحدُكم قطرة حليب .. إنه يموت .. يموت.

رجل2 أتسمع ؟

رجل1 غناء شجي ***(يردد غناء المجاميع)***

رجل2 أقصد صياح المرأة .. يا لقلبك الأصم سمعتَ الغناء ولم تسمع النواح.

رجل1 وما الفرق كلنا ننوح.

رجل2 أصبحتُ متيقناً أنك ...

رجل1 متيقن من ماذا ؟

رجل2 أنت لستَ معنا .. ماذا يعني ذلك غيرَ أن تكونَ معهم.

رجل1 ***(يضحك)*** معهم .. معهم ويتركوني هنا أعاني من لغوك وولولتك.

رجل2 حتى تساعدَهم.

رجل1 كُف عن هذا الهُراء واهتم بنفسك.

رجل2 أنا لا أخافُك .. رغمَ أني متيقن ...

رجل1 يا أخي تيقن كما يحلو لك فقط دعني وشأني ***(يردد غناء المجاميع)***

رجل2 تغني ؟ تقرأ وتغني ..

رجل1 ذكرني ذاك الغناء بأشياء كثيرة ***(يردد غناء المجاميع)*** أصبح الغناءُ كالملحِ يُذرُّ في جروحنا .. ***(يعود للغناء)***

رجل2 تباً لك ولكتابَكَ وغناءَكَ السخيف.

المرأة إنه لا يتحركُ لا يبكي لا يصرخ.

رجل1 الصبرَ يا أختي الصبرَ ماذا سنفعل ؟

(إشارات ضوئية تنبعث من الخلف تقف المجاميع على اثرها مندفعة تجاه البوابة المغلقة ..تزاحم وصراخ .. رجل2 يحاول الوصول للبوابة .. تتوقف بعدها الإضاءة وتنبعث ضحكات من خلف البوابة .. ويعود الحميع لأماكنهم بانكسار)

المرأة لا يتحرك .. أصبحت عيناهُ من زجاج .. إنه ..

رجل1 دعيني أراه ***(يقترب منها يتفحص الطفل)***

المرأة هو نائم أليس كذلك .. هو نائم.

رجل1 دعيني أحملهُ عنكِ.

المرأة لا ***(تبعد الطفل عنه)*** سوف يصحو ويعاودُ البكاء.

رجل1 لن يصحو يا أختي لن يصحو.

المرأة لا .. هو فقط نائم .. هو جائع .. سوف يتركونِنا نمر بعد لحظات .. جدتُهُ هناك تنتظره إنها فرِحةٌ به تريدُ رؤيتَهُ .. سوف يعاودُ البكاءَ بعدَ قليل.

رجل1 لا فائدةَ يا أختي .. هاته .. المسكينُ لم يقو على الانتظار.

(الأم تتمسك بطفلها تبحلق بصمت ثم تضحك بشكل هستيري غناء حزين .. ضحكات الحرس)

رجل2 ***(يعود)*** يسخرون منا .. لاشيءَ يحدث .. ما بك .. لماذا تحاولُ أخذَ الطفل من أمه.

رجل1 أخذه ربُهُ .. لقد مات.

رجل2 مات .. مات .. إنها البداية.

رجل1 كف عن هذا وتعال نقنعها بدفنه .. إنها في حالٍ صعب.

المرأة ***(تفترش الأرض وتضع طفلها أمامها)*** كانت تريد رؤيتَهُ .. كانت سعيدةً بمقدَمِهِ لهذا العالم التَعِس .. كانت تريدُهُ عوضاً عن ابنها.

رجل2 اذكري الله يا أختي ودعينا نأخذه.

رجل1 لن يكترثوا .. لن يسمحوا لنا بالمرور .. ماذا نفعل لابد أن ندفنه.

رجل2 سيذهبُ للجنةِ إنه طفل لم يعرف هذا العالم.

المرأة تريدُ رؤيتَهُ فقط .. كانت تحلمُ بحفيدٍ بعد إن فقدت الأبن .. لن اتركَهُ هنا سيكبرُ ويصبحُ رجلاً بطول والده وعندما يشيخُ وتحينُ ساعتهُ سيُدفَنُ بجانب والده .. لقد أعطوه ماءً وبسكوتاً فقط.

رجل2 يا للمسكينة .. إنها تفقدُ عقلَها.

رجل1 دعينا ندفنهُ يا اختاه؟

المرأة ***(تخاطب طفلها)*** محمد .. هيا استيقظ .. محمد .. مات والدُك فجرَ يوم وهو خارجٌ من المسجد .. مات معهُ كثيرون .. أسميتُكَ محمداً على اسم والدك لاتذهب .. محمد.

رجل2 ***(يصيح بلوعة)*** يا للعذاب .. أخي كان اسمهُ محمداً وكان خارجا من المسجدِ بعد صلاةِ الفجر.

رجل1 دعيني أحمله ***(يقترب منها)***

المرأة هل مات ؟

رجل1 نعم يا أم محمد .. لقد مات لم يقو على الانتظار.

المرأة ***(بشراسة)*** لا .. جدتُهُ تريدُ أن تراه .. المسكينةُ .. الآن سيراه والدُه قبلهَا هناك في السماء سيراه والدُه .. لم نعبُر هذا الحاجز .. فقط أعطوه بسكوتاً وماءً.

رجل2 لاحولَ ولا قوةَ إلا بالله .. هاتِهِ يا أختي إنه طاهرٌ شفاف .. هاتِه.

رجل1 دعينا ندفنهُ .. الله أعلمُ متى سيُسمح لنا بالمرور.

المرأة ***(تهاجمهم بشراسة)*** ابتعدوا .. لن تأخذوه .. لن أسمحَ لكم بأخذِه.

رجل2 لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .. ولكن يا أختي لابد من دفنه.

المرأة ابتعد .. ابتعد لن تأخذوه .. سيُدفن إلى جانبِ والدِه هناكَ في الوطن.

رجل1 دعها .. دعها .. لنتركَها حتى تهدأ.

المرأة الصورة نعم الصورة .. سأريها الصورة .. وأقولُ لها إنه ذهب لوالده وهذه هي صورتُه ***(تخرج صورة من جيبها وكأنها تخاطب جدته)*** أنظري إليه .. تأمليه جيدا إنه يشبهُ أباه .. ضعيها في برواز آخر وعلقيها إلى جانب صورةِ أبيه .. الحائطُ يتسع .. وهذه الأرضُ تتسع تتسع لتضمَهُ ميتا .. وتضيقُ تضيق عندما يحاولُ المرورَ عائدا لوطنه ***(نواح الحشد مستمر)***

رجل2 لماذا .. لماذا يحدثُ لنا كلُ هذا .. ننتظرُ المرورَ .. ننتظرُ الموت ...ننتظر أن يأتي شيءٌ لا نتوقعُهُ إلا أن يكونَ شيئاً كريهاً ... سئمنا هذا الانتظار.

رجل1 عدتَ لسيرتِكَ الأولى .. ألا تَكُف عن الكلام.

رجل2 سأذهبُ لهم لابد أن نعرف.

رجل1 ***(يضحك)*** يا أخي ألا تخجل من نفسِك .. كُفّ عن ولولتك.

رجل2 لا .. سأذهب.

(يختفي بين الجموع في الخلف .. رجل1 يعاود القراءة .. المرأة تخاطب طفلها المسجى أمامها ذاهلة عن ما حولها)

المرأة هل تركتني .. هل حقا رحلتَ يا محمد ؟ من سيأتي لها الآن بولد .. من سيأتي لها بحفيد .. لقد ذهبتم.

رجل1 صغيرُك ارتاح من الانتظار .. ذهب حيثُ لا حواجز ولا ضحكاتٍ صفيقة .. له جناتُ الخلدِ إنه طاهرٌ .. فقط لو تتركيهِ لندفنَه.

المرأة هل تواسيني .. أم تواسي نفسَك أيها الغريب.

رجل1 أنا محمد .. اسمي محمد.

المرأة ووالدهُ مجد رحل .. بعدها رحلنا خوفاً من مصيره .. الحياةُ في الخوف والحياةُ في الغربة سيان .. وها نحنُ عند الحاجزِ ننتظرُ من سيذهب.

رجل1 أنا .... أنا ...

المرأة هاربٌ أم عائد ؟

رجل1 أنا .. أنا عائدٌ .. كنت هارباً والآن .. لا أعرف .. لا أعرف.

المرأة لا فرق .. هناكَ الحاجزُ ونحن ننتظرُ من سيذهب.

رجل1 الجبان ذهب أخيرا ***(يحاول تبين رجل2 بين الجموع)*** أخيرا ذهب.

المرأة نعم ذهب حيثُ لا حواجز .. ولكنها تتراكمُ في وجهِ جدتِهِ .. وهذه الصورةُ ستُعلقُ على جدارِها هناكَ وشريطٌ أسودُ يحيط بها .. بل يحيط ببيتها بأكمله.

رجل1 يا أختي ربما لن تفتح البوابة .. إنه أمر الله لابد من دفنه.

(لا ترد عليه يواصل البحث عن رجل2 بين الجموع .. يفتح كتابه يحاول القراءة .. ويسترق النظر للمرأة .. ضحكات عالية تصدر من الخلف .. يندفع رجل2 عائدا يسير بهدوء وانكسار)

رجل2 لاشيء .. يضحكون .. فقط يضحكون.

رجل1 ألم تطالبهم بشيء ما ؟

رجل2 قلت لهم نريدُ أن نمر لقد أنهكنا الانتظار نظر إليّ ورفعَ كأسَهُ وقال : اسمع يا مجد.

رجل1 اسمك مجد ؟ ولكن كنتَ تقولُ إن أخاك الذي قتل أسمُهُ مجد.

رجل2 هو مجد أصغر وأنا مجد أكبر ... قلتُ له كيف عرفتَ أسمي يا سيدي ؟ قال نصف العابرين اسمهم مجد .. عد إلى مكانك وانتظر.

رجل1 هذا ما قاله ؟ ألم تخبره عن موت الطفل ؟

رجل2 نعم أخبرتُه بذلك .. ولكنه ضحكَ وقال : مئات البشر يموتون كُلّ لحظة.. لينتظر مثلكم .. قلت له ينتظر ماذا إنه ميت .. قال : لا يهم على الجميع الانتظار إلى أن تصدر الأوامر.

رجل1 هذا كل ما قاله ؟

رجل2 نعم .. هذا كل ما قاله ... انتظر .. انتظر ... ننتظر ماذا ولماذا وكيف .. ***(يفتح كفيه ويتمتم)*** جمعتُ بعض أعقاب السجائر .. كانت كثيرة .. جمعتُها من بين أقدامهم .. أنا ملعون ***(يبكي)*** كيف أتنفسُ أنفاسهم .. كنتُ راكعاً هناك أجمعها وهم يضحكون كيف أتنفسُ أنفاسَهم .. أنا ملعون.

(يهرس أعقاب السجائر وهو يردد كلماته وينثرها على الأرض .. في الخلف غناء شجي وضحكات ماجنة .. الإضاءة اللامعة تعاود العمل فيتزاحم المنتظرون تجاه البوابة .. وبعد لحظات يحل الصمت ثانية .. رجل2 يتقدم لرجل1 ويأخذ الكتاب منه بينما رجل1 ينظر إليه بخوف وكأنه يتوسله عدم تمزيق الكتاب .. يسير بهدوء ويجلس يتصفح الكتاب)

المرأة كنت أحاول أن أجعلَهُ ينام .. لا ينام بسهولة لابد أن أُطعمَهُ من صدريَ الجافَ الشحيح .. لابد أن أغني له بعضَ الحزن الذي غُمِسَتْ أغانينا به ***(رجال يحيطون بالمرأة كانهم يواسونها بعضهم يعطيها بعض الأكل)*** كنت أعرفُ أنه ينام عليها ***(تغني)*** .. نام .. نام ..

رجل1 لك الله يا أختي .. في هذا الحاجز تتبدلُ أشياء .. تذهب أشياء وتأتي أخرى .. قالوا له انتظر .. وقالوا لكِ اصبري .. أتعرفين أن جدي وجدك كانا يجولان في هذه الصحراء دون حواجز دون أوراق ودون خوف .. يرحلون حيث يشاؤون ..

المرأة عرفت هذا في الكتب ؟

رجل ***(ينظر حيث جلس رجل2)*** لا بل عرفته في المدرسة .. ألم تتعلمي ذلك في المدرسة ؟ هل تعرفين بأن البدو يدفنون أمواتَهم ولا يتوقفون عن الترحال .. وأهلَ البحر يربطون الموتى بحجر يذهب بهم سريعا إلى قاع البحر.

المرأة وهل تريدني أن أدفنه هنا .. ماذا أقول لجدته .. ربما يصحو بعد قليل.

رجل1 لن يصحو .. لن يصحو ... الله يأمرنا ....

المرأة أعرف .. دعه ربما يسمعُ صوتي ؟ سأغني له ربما يسمعني.

رجل1 ولكن يا أختي ***(تغني ينظر لرجل2 والمرأة)*** هذه أو ذاك .. إلى متى .. إلى متى ؟

رجل2 ***(يقف بشكل هستيري يقذف بالكتاب ويتقمص شخصية جلجامش)*** انكيدو يا صاحبي الذي ذهب دون عودة .. كيف أكلَ الدودُ ملامِحَكَ وكيف محتَ الأيامُ عزمَكَ وبطولاتِك .. يا صاحبي هذا أنا جلجامش صديقُ حروبِك وسلمِك رحلتُ إلى هذه البحار البعيدة أبحثُ عن سر موتك .. وأبحثُ عن نبتةِ الحياةِ زهرةِ الخلود .. يامن هزمتَ خمبابا في غابات الأرز .. يامن كنتَ سيفي وترسي أيها الصديقُ الجاثمُ تحت التراب .. سوف أربط حجراً ثقيلاً في رجلي وأغوصُ في هذا البحر كي أجلبَ لكَ زهرة الحياة.[1]

رجل1 ***(يصفق له بحرارة)*** لم تقل لي إنك ممثل بارع.

---

[1] من ملحمة جلجامش بالتصرف.

رجل2 ***(رجل2 يجلس منهارا بشكل مأساوي .. يقوم رجل1 بأخذ الكتاب)*** البحر أعطاه ما أراد .. أعطاه زهرةَ الحياة ولكن الله خذلَهُ سلط عليه ثعباناً أكل تلك النبتة ليعلمه أن الخلود له وحده سبحانه وتعالى.

رجل1 قلتُ لك يا أخي إنها حكاية .. حكاية .. والحكاياتُ نصفُها أحلامٌ ونصفُها أماني.

رجل2 ***(تنتابه حالة هستيرية فيصرخ)*** دعونا نمر .. دعونا نمر .. إننا نتعفن نموت .. دعونا نمر ..

رجل1 ***(يحاول منعه)*** اهدأ .. اهدأ يا أخي .. لا بأس من الانتظار ساعات أخرى.

رجل2 ***(بخوف وهو برتجف)*** هل سيلاحقنا الموتُ هنا .. هل سنموتُ مثلَ ذاكَ الصغير .. أو مثل والدِهِ أو مثل محمد أصغر أو ..

رجل1 اهدأ .. لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .. فقط اهدأ .. اهدأ .. اهدأ.

رجل2 لماذا يحجرون علينا .. لماذا لا يدعوننا نمر .. من الذي أتى بهم .. من أعطاهم هذه الأحقية في المنعِ والسِماحِ .. تبا لهم .. نعم تبا لكم .. أيها السكيرون أيها الأوغاد .. افتحوا البوابة .. ارفعوا الحاجز كي نمر.

رجل1 اصمت .. اصمت .. لن يطول انتظارُنا .. اهدأ .. اهدأ ..ليتني أملكُ سيجارة.

رجل2 ***(يجلس بإستسلام وهدوء)*** سنموت هنا .. سنموت هنا.

المرأة ستبكي أولَ مرة بمرارة .. وعندما يصبحُ الموتُ لعبة التكرار ستخفُ المرارةُ وتتعب .. ستنمو أحجارٌ صماءُ تتوسطُ حنجرتكَ وتحجزُ لوعتك وتحجر دموعَك.

(يرتفع صوت غناء حزين من الجموع في الخلف .. المرأة متسمرة مكانها تبحلق في الفراغ ..رجل2 شبه نائم .. رجل1 يضع كتابه في حقيبته .. يقترب من المرأة)

رجل1 هل نأخذه .. لابد من دفنه.

المرأة لا .. سيعاودُ البكاءَ .. لن تأخذَهُ مني .. والدُهُ ذهب .. وهو لايزالُ هنا.

رجل1 لكنه ذهبَ .. مات يا أختي مات .. كفي عن هذا ودعينا ندفنُهُ .. لن يسمحوا لنا بالمرور .. إلى متى تحتفظين به ؟

المرأة حتى نجد وطناً.

رجل1 وطن .. ***(يتمتم وفي الخلف أصوات المجاميع تئن من الانتظار)***
ليت السفائن لا تقاضي راكبيها من سفار
أو ليت أن الأرض كالأفق العريض ، بلا بحار

ما زلتُ أحسِب يا نقود ، أعدكنّ و أستزيد ،
ما زلت أنُقِص ، يا نقود ، بكنّ من مدد اغترابي
ما زلت أوقِد بالتماعتكن نافذتي و بابي
في الضفّة الأخرى هناك.
فحدثيني يا نقود
متى أعود ، متى أعود ؟[1]

المرأة تعلمت هذا في المدرسة ؟

رجل1 جلجامش والسياب .. البحر والحياة والاغتراب .. لقد نام ***(يشير لرجل2)***

المرأة تعلمت هذا في المدرسة ؟ ***(لا يرد)*** كم علمتك تلك المدرسة.

رجل1 يا سيدتي .. تملكين روح السخرية .. أي مدرسة .. أنا أعودُ لترابي لوطني بعد سنواتٍ طويلة .. لا أعتقدُ أنني سأجدُ تلكَ المدرسة كما هي.

المرأة وأنت تملكُ روح الدعابة .. تخاف ألا تجد مدرستك ؟ وأنا من سأجد ؟لن أجد أحداً .. لا أحد غير الجدة وحائط علقت عليه صور يحيط بها شريطٌ أسود.

رجل1 ***(يتمتم)*** الشمسُ أجملُ في بلادي من سواها
و الظلام حتى الظلام هناك أجمل[2]

المرأة ألم أقل لك بأنكَ تملكُ روح الدعابة .. هل تخافُ ألا تجد مدرستك .. أم تخاف ألا تجد وطناً حلُمتَ بِهِ طويلا.

(رجل2 يقف يسير بهدوء يحمل حقيبته ينظر للحاجز بينما ترتفع أصوات الجموع .. الإضاءة تشتعل مرة أخرى .. الجموع وقد تولاها التعب تتزاحم ببطء ودون اكتراث .. رجل2 يطيل النظر إلى الجموع ثم يسير بعيدا عكس طريق الحاجز)

رجل1 محمد .. أكبر .. محمد أكبر إلى أين أنت ذاهب .. سيفتحون البوابةَ قريبا ... يا محمد ..

المرأة لقد هزمَ خوفَهُ .. لم يذهب لمدرستِك .. ولكنه يعود.

رجل1 كلُنا نعودُ ولكن إلى أين ؟

المرأة أيخونُ إنسانٌ بلادَهُ؟

---

[1] من قصيدة غريب على الخليج للشاعر / بدر شاكر السياب.
[2] من قصيدة غريب على الخليج للشاعر / بدر شاكر السياب.

رجل1 عد يا محمد .. سيسمحونَ بالمرورِ بعدَ قليل .. لقد رحلَ دون أن يُلقي كلمةً واحدةً دون أن يحملَ معه جلجامش الذي وصفهُ بالكافر .. قال إن أخاه محمد أصغر قتله رفيقُهُ في حربِ الوطن قال إنه كافر .. رحل دون أن يهتم.

المرأة هل سيعرفُ معنى وطن ؟

رجل1 عمن تتحدثين ؟

المرأة عن محمد.

رجل1 لو لم يعرف لما عاد بعد أن يئس من عبور هذا الحاجزِ الكريه.

المرأة قصدتُ محمد المسجى هنا ***(تشير لجثة طفلها)***

رجل1 دعي هذه الصحراءُ تصبحُ وطنه.

المرأة هل سيعرفُ معنى وطن ؟

رجل1 وماذا يهم عرفَ أم لم يعرف.

المرأة لماذا نعتبر المكانَ الذي نولدُ فيه وطناً ولا نعتبر المكانَ الذي نموت فيه وطناً.

رجل1 خير الأوطان ما تولد وتموت فيه.

المرأة أو تعلمتَ هذا أيضا في مدرستك ؟

رجل1 لماذا تسخرين مني .. ألا يكفي مانحنُ فيه من قهرٍ وانتظار ***(ينتبهون لاشتعال أضواء البوابة .. تتدافع الجموع نحو الحاجز .. نلاحظ أنهم يسمحون بالمرور .. رجل1 يحمل حقيبته ويتوقف ينظر للمرأة)*** هيا لقد سمحوا بالمرور .. ألن تذهبي ؟ ***(يسير بعض خطوات ويعود)*** هيا احملي محمداً معك ولنغادر.

المرأة هل يسمحونَ بمرور الموتى ؟

رجل1 دعينا نحاولُ .. هيا .. هيا.

المرأة هل يسمحونَ بمرور الموتى ؟ ***(يزداد الزحام والصراخ)***

رجل1 لنحاول .. هيا نغادرْ هذا المكان.

المرأة نغادرُ من أين .. ونعودُ إلى أين ؟

رجل1 ليس هذا وقتَ الكلام فقط احملي طفلَكِ ولنرحل.

المرأة لم يعد هناكَ طفل .. لم يعد هناكَ طفل.

رجل1 ياسيدتي توقفي عن هذا .. إنهم يرحلون هياَ نلحقَ بهم.

المرأة ***(لاتزال تفترش الأرض)*** لحقَ بنا الموتُ هناك .. ولحقَ بنا إلى هنا.

رجل1 هيا .. ارجوك يا أم مجد .. هيا.

المرأة هل سيسمحون بمرور الموتى ؟

رجل1 لنحاول .. هيا أسرعي قبل ...

المرأة ربما أخذوه مني.

رجل1 لنحاول .. أسرعي قبل أن يغلقوا البوابة.

المرأة اذهب .. اذهب أنت.

رجل1 كيف .. وأترككِ هنا.

المرأة ماذا ؟ ماذا قلت ؟

رجل1 لا وقت لهذا .. هيا .. لنذهب.

المرأة هل قلت أترككِ هنا.

رجل1 نعم قلت هذا .. هيا دعينا نذهب.

المرأة انظر.

(تشير للخلف وقد رحل الجميع وتوقفت الإضاءة وتم غلق الحاجز يلتفت رجل1 بفزع ويصرخ مهرولا تجاه البوابة)

رجل1 لا لا .. ليس الآن .. نحن لم نمر .. معنا طفل ميت .. لابد أن تراه جدتُهُ .. نحن لم نمر .. معنا طفلٌ ميت ***(تتعالى الضحكات ينهار على الأرض)*** لا هل سأنتظر أكثر .. تبا لكل شيء .. من أعطاكم هذا الحق .. لن نمر لن نمر.

(ينهار على الأرض .. نشاهد في الخلف توافد عابرين جدداً يتكدسون حول البوابة بكاء طفل تلتفت المرأة للصوت تبتسم وتسير حيث جلس رجل1)

المرأة قف يا مجد ... قف لن تسقطَ في الخطوات الأخيرة.

رجل1 لقد سقطنا .. ذهبَ الجميع .. وأغلق الحاجز لن نمر.

المرأة لم يذهب الجميع .. هناك جمعٌ آخر .. وآخر .. وآخر .. وعليكَ أن تقفَ .. تقفَ وتنتظر.

رجل1 مرة أخرى .. إلى متى ؟

المرأة لن تسقطَ في الخطوات الأخيرة.

رجل1 ***(ينتبه إلى أنها تركت مكانها وتسيرُ على قدميها)*** أنتِ .. تقفين .. تسيرين .. أنتِ لن تمري .. وطفلُك الميتُ لن يمر.

المرأة هل ندفن الطفل ؟

رجل1 ***(بدهشة)*** ها .. ندفنه ؟ .. ندفنه هنا ؟

المرأة هل ندفنه ***(تساعده في النهوض .. غناء شجي في الخلف .. صوت بكاء طفل بين الجموع .. المرأة تحمل طفلهاوتخاطبه)*** لن تبكي ولن تضحك مرة أخرى.

(رجل1 يحمل الطفل وخلفه المرأة تسير بصمت.. يتقدم منهما رجل3 عصبي منكوش الشعر)

رجل3 هل لدى أحدٍ منكم سيجارة ؟

رجل1 لا .. لدينا طفلٌ ميتٌ نريدُ دفنه.

رجل3 ***(يصرخ)*** طفلٌ ميت .. مات هنا .. يا للمصيبة .. وكيف مات ؟

رجل1 نريد دفنه.

رجل3 مفخخةٌ أم رصاصةٌ هل نُسِفَ أم ذُبح ؟

رجل1 لا .. مات جوعاً .. هل تساعدنا في دفنه ؟

رجل3 تدفنونه هنا .. بعيداً عن وطنه؟

المرأة سيكونُ هنا وطنهٌ.

رجل3 لا إله إلا الله ... لا إله إلا الله.

(تحتشد الجموع ليقودهم رجل3 في جنازة مهيبة يتقدمهم رجل1 حاملا الطفل .. وتتبعهم المرأة .. غناء شجي .. ضحكات صادرة من الحاجز .. بعد لحظات يعود الجميع رجل1 يجلس بيأس بينما المرأة تلتقط صورة طفلها وتخاطب جدنه)

المرأة سرقوا مجد .. سرقوا فرحتَكِ بعودتِهِ .. ماتَ بعيدا عن ...

رجل1 ***(متعب ويائس)*** لن ينتظر .. نحن من علينا الانتظار والانتظار والانتظار.

المرأة هل قلتَ لن أتركك هنا ؟

رجل1 وما الفائدة .. لقد رحل الجميع.

المرأة لن ننتظر .. قف يامجد.

(تمد له يدها يمسك بها ويقف .. تقبل الصورة وتضعها في حقيبتها تتناول حقيبتها وتسحب حقيبته تجاهه .. تضع يدها في

يده .. الجموع تعود للمرابطة أمام الحاجز يصدر عنها غناء شجي)

هيا **..** سيكونُ لنا وطن .. سيكونُ لنا وطن.

(تمسك يده ويسيران عكس اتجاه الحاجز)

النهاية